المنطق المنظور والمنطق المستور

للأستاذ عبد الله حسين

ألف الناس أن يطلقوا على ما يقع لهم أفراداً أو جماعات ، من الأحداث ، اسم الغرابة والمفاجأة والشذوذ ، وأن يبدئوا ويعيدوا فى وصف كل حدث من الأحداث ، كأنه شيء لا يقع إلا فى الخيال ولا مثيل له في حوادث التاريخ ، أو كأنه قد وقع من غير مقدمات ولغير علل وأسباب !

ولعل مرجع هذا عندهم إلى أنهم يحرصون على حياة السلامة والدعة التى ألفوها قبل أن يتأوَّد مجرى حياتهم ، ويزور مستقر شأنهم وقبل أن يشهدوا انحرافاً فى ميزان حياتهم

ذلك ، أن الناس كانوا ولا يزالون حريصين على ما يدعونه « الحقوق المكتسبة » ينعمون بثمارها . فإذا اعتاص عليهم أمر من الأمور ، لعقبة أو نازلة أو عرضٍ من أعراض الحياة وأطوارها المتناقضة ظاهراً ، نادوا بالويل والثبور ، وحسبوا ما واجههم من عظائم الأمور ، ومن المنطق المستور !

قال أحد فلاسفة فرنسا : « وليس يقع فى الدنيا غير الشاذ »

أو لم يقولوا فى الحرب إنها حالة شاذة ، كأن السلم هى الحال الدائمة الطويلة ؟

أو لم يتطير الناس من الحروب والثورات وما إليها من الفتن والاضطرابات وألوان الانقلابات حتى الاقتصادية منها ؟

يذهب الناس إلى هذا مع أنهم لو عَمَدوا إلى الاستقراء وفتحوا عيونهم على العالم كله قديماً وحديثاً ، لفقهوا أن الحياة الاعتيادية ليست دعةً وسكوناً وأمناً وسلاماً إلا فى حيز محدود وزمان غير طويل ؛ فإن الدنيا لا تعرف السكون الطويل ، والحياة ليست بالمستقرة المطمئنة إلى قواعد ثابتة ، وأسس لا يعفى عليها تقلب الحدثان

وقد تأثر الكتاب والأدباء بحسبان الحياة سلماً واطمئناناً وأمناً إلا فى النادر وعند المفاجأة وشواهد الغرابة ، فبالغوا فى تصوير الأحداث التى تقع على غير ما كان يتوقع أصحاب « المنطق المنظور » ويعنى به منطق الحوادث اليومية الاعتيادية المألوفة التي تكاد تجرى على صورة واحدة ، فإن الاستمساك بهذا المنطق السطحى الضيق ، هو آفة النظر الفاحص البعيد ، الذى يزن الأشياء بميزان « المنطق المستور » الذى يستطيع أن يبلغ حقائق ، ويكشف عن مقدماتها وعللها ، ويتنبأ بنتائجها وآثارها ؛ وأصحاب هذا المنطق هم أولئك الذين لم يخدعهم « المنطق المنظور » الضيق

كم من تقلبات شهدنا فى خلال العشرين عاماً الأخيرة أو منذ شبت نار حرب ١٩١٤ أو منذ وضعت أوزارها وأعلنت الهدنة ووقعت شروط الصلح وبادت دول وظهرت أخرى . وكم عجبنا وأغربنا فى الدهش والحيرة لأحداث وقعت بين ظهرانينا لأننا كنا ننظر إلى شئوننا بعين « المنطق المنظور » ، فلما خلونا إلى أنفسنا قهرنا على مقابلة الخطوب ، ورضنا أنفسنا على متابعة التقلبات ، عرفنا بعين « المنطق المستور » أن ما وقع إنما جاء نتيجة منطقية لحوادث سابقة وأخطاء قائمة واستسلام « للمنطق المنظور »

وليس الأمر بمقصور على الشئون العامة ، بل إن شئوننا الخاصة يجرى عليها هذا القياس ، فالأمراض المستعصية ونكبات الأسرة والصداقة من طلاق وأزمات مالية وخصومات وانتقامات ، كلها ترجع إلى مقدمات وحوادث وعلل ، لا يقرأها ولا يدركها « النطق المنظور » النطق السطحى المستسلم ، ولكن عين « النطق المستور » تجلوها لنا سافرة طبيعية لا غرابة فيها ولا مفاجأة ولا شذوذ

عبد الله حسين
المحامى

الصديق أبو بكر

للدكتور محمد حسين هيكل باشا

ثمنه ٣٠ قرشاً

عدا أجرة البريد ٤٣ مليما داخل القطر

و ٨٠ مليما خارج القطر

ملتزمة النشر

مكتبة النهضة

٩ شارع عدلى بمصر